سكنه ازيز الطائرات ، ملونا بدماء الناس » غير انها بعد هذه الجملة البليغة حقا تصطنع موقفا محايدا فتقول « لم اطلب منهم التعبير عن مأساة الحرب ، كان هذا آخر ما يهمني » لماذا ! لانها تريد ان تقول « تركت لهم حرية التعبير » (ص ١٦) .

غير ان ثمة فقرة يتيمة تكاد توضح ما ارادته من التجربة « كنت اريد من خلال الرسوم معرفة مدى تأثير الظروف القاسية التي مروا بها والتجارب المريرة التي عاشوها ، ومدى وقع المفاجأة التي فاجأهم العالم بها وتأثيرها في طاقاتهم الابداعية » (ص ١٨) . غير انها تظل فقرة مبهمة غامضة . خلاصة القول ان « المقدمة » ، تقف عند حدود الوصف الانشائي الجميل ، قافزة عن منهج موضوعي يشد الفقرات المتفصلة ، المكتفية بذاتها ، عن سابقاتها ولاحقاتها ، جامعة ما بين فقرات مثالية ، وجودية (« كيف يستطيع الصغار أن يسخروا من لعب الكبار ! » من هم الكبار مثلا ! واضعة بذلك هموم أطفال المخيمات المزدوجة في مصاف هموم « الامير الصغير ») وفقرات تبشيرية ، استنهاضية : « ولد الالم . صار الحزن يقطر من قلوب الناس . انطلق غضب حاد ، وفي قلوب الاطفال والفقراء ولد فعل الرفض ، حمل الانسان المشرد بندقية معلنا ارادته ، تحولت خيمة اللاجىء الى خيمة ثائر . لم يعد الطفل الفلسطيني اللاجىء الفقير المسكين ، طفل وكالة الغوث ، بل أصبح ولادة جديدة في العالم العربي ، انطلاقة تحمل الكثير من الامكانات والطاقات الخلاقة ! » (ص ٢٠) وكان ممكنا ، ما دامت منى قد اختارت أن تكون مقدمتها على هذا النحو ، ان تضع « مدخلا » يقدم الملاحظات الضرورية لكل باحث تهمه هذه الرسوم .

٢ — لم يكتف الكتاب برسوم الاطفال ، اذ استنطقتهم منى السعودي بلغة محكية ، في محاولة لاستكمال « شهادتهم » . غير أن هذه المحاولات تكون غالبا محفوفة بالمخاطر ، وعلى الاقل فان تجربة منى لاستخلاص شيء من أفواه اطفال المخيم لم تنته الى نتائج يركن الى قيمتها . ويعود هذا الى ان طبيعة اللغة المنطوقة عند الاطفال تتباين مع « لغتهم » الشكلية ،وهذا هو سر رسوم الاطفال وقيمتها الحقيقية ، فالتعبير بالكلام « فن » يتعلمه الطفل من الاسرة ، من المدرسة ، ومن الوسط الاجتماعي ، فيما يفترض ان الرسم والتخطيط فن يتعلمه الطفل من تلقاء نفسه ، مستمدا مع تقدم نموه رموزه وقيمه من الوسط الاجتماعي(٢). لذلك نجد تعامل الطفل مع الالوان والخطوط والاشكال اكثر نقاء وعفوية وصدقا من تعامله مع اللغة المنطوقة ، التي كثيرا ما تتضمن مواقف ناضجة لفظيا دون أن يطابقها نضج موضوعي « ذهنيا وسيكلوجيا وخبرة » اذ غالبا ما « تتسرب » الى لغته كلمات وعبارات اشبه ما تكون بالكليشهات اللفظية يتعلمها الاطفال بالتكرار من الكبار في مراحل نمو الطفل المبكرة ، اي مرحلة اكتساب اللغة وتعلمها وما يتلوها .

صحيح ان ثمة عبارات ينطقها الطفل ، تتضمن عبقرية خاصة ، كما يشير الى ذلك كارل ياسبرز، الا أنه ينبغي عدم تعميمها بصورة تعسفية . وليس عبثا ، ان تنشأ مدرسة كاملة في ميداني علم النفس التجريبي والاختباري قائمة على اتخاذ رسوم الاطفال أداة لقياس الذكاء عند الاطفال وليس على « كلام » الطفل او لغته(٣). لذلك ، فانه لا يعتد كثيرا بما استنسخته منى من اقوال الاطفال في المخيم ، فيما عدا القليل الذي تضمن « لغة » طفولية حقيقية . لنأخذ امثلة مقارنة من الكتاب :

---

٢ — أقول : « يفترض » ان الرسم والتخطيط فن يتعلمه الطفل من تلقاء نفسه ... ، لان ما يحدث عمليا في المدارس العربية عكس ذلك ، اذ يجري استخدام طريقة الامشق ، اي وضع نماذج محددة امام الطفل ليرسمها ، ويكون معيار الجودة في الرسم الدقة والاتقان في نقل النموذج، او تلوينه . وهذا طبعا مغاير لطبيعة الطفولة ومتطلباتها ، وقد أشرت الى هذه الظاهرة — في نطاق تجربتنا مع اطفال مخيم البقعة ، وكيف تخلصنا منها — في الدراسة التي أعددتها حول هذه التجربة وهي كما ذكرت قيد النشر .

٣ — راجع : مؤسسة هذه المدرسة فلورنس جودانف ، التي وضعت أول اختبار مقنن لقياس الذكاء عند الاطفال من خلال رسومهم ، في كتابها الصادر عام ١٩٢٦ :

Florence Goodenough, *Measurement of Intelligence by Drawings*, N.Y.: World Book Cc.,1926.

وبالعربية يمكن مراجعة : سيكولوجية رسوم الاطفال (اختبارات رسم الانسان وتطبيقاتها على اطفال البلاد العربية) دكتور مالك بدري . دار الفتح للطباعة والنشر — بيروت ١٩٦٦ .